النعمة والحق
1-2 Jan Feb
2011

افتتاحية العدد بقلم: لاري اوندرجاك

كيف تضبط وتكيف وجهة نظرك نحو العالم

هل واجهت تساؤلات عن وجهة نظرك أو فكرك أو فلسفتك عن أمر ما؟ عما كان ذلك عن العالم أو السياسة أو التجارة أو الدين وتبدو هذه الدعوة سمة أيامنا هذه أكثر مما مضى.

وهذا يُشبع غرور المتسائل للمعرفة عما يدور في فكرك عن موضوع بذاته.

تكشفت وجهات نظر متباينة في هذا الموضوع، وبخاصة في ضوء مواقع الإنترنت في مجموعات مختلفة تتناسب وقد تتناقض كما يحدث بين طبقات المجتمع ذاته. بينما هناك ما يدفع للرد على تساؤلات عما يمكن أن يُستنبط لقبول وجهة نظر خاصة تسيطر وتهيمن مما يحذرنا عنه الرسول بولس ألا ننساق ويضلنا الآخرون بوجهات نظرهم وآرائهم إذ قال في (كو٢: ٨) «أنظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح».

ووسط عالم يموج بالآراء المختلفة والمتباينة يحذرنا الرسول من الأفكار الخبيثة وخداع العدو الذي يحاول أن يرفع الإنسان بقدر محاولاته من عدم التقدير والتبجيل للمسيح – له المجد.

وإننا ندعوك – عزيزي القارئ – أن تقف أمام نفسك وقفة شجاعة وتأمل قبل أن تعطي جواباً لهذه التساؤلات التي نضعها أمامك: هل تتوافق وجهة نظري مع ما يقول به الكتاب المقدس؟ وما سيجيب عنه الرب بخصوصه؟ وحينما تفعل ذلك فإنك تكّون وجهة نظرك في ضوء كلمة الله الفعالة.

بالإضافة إلى تحذيرنا فإن الرسول بولس يدعونا بأن نضع وجهة نظرنا على أساس كلمة الله «مستأثرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو١٠: ٥) فأفكارنا راسخة كأساسها الراسخ وأي أساس أفضل من ذلك الذي هو المسيح «المُذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (كو٢: ٣، ١كو٣: ١١).

موضوع العدد (١) بقلم: روجر بيتي

البحث عن نظرة مسيحية صحيحة للعالم

إن المنظر الذي نشاهده في الريف يختلف عما نراه في المدينة ففي الأول نرى المزارع حياة الريف البسيطة وهواءها النقي أما في الثانية فإننا نجد المنازل متراصة ونرى المصانع وأدخنتها المتصاعدة من مداخنها وتتباين نظرتنا للعالم من حولنا تختلف عن نظرتنا لأوطاننا كما وأن نظرتنا هي نتاج خبرات وآراء وحقائق عن أنفسنا والعالم من حولنا مما تتيحه ثقافتنا. ويحاول البعض عمل مزيج من هذه الأفكار والآراء المعقدة بينما البعض ينتقي من بينها قطعاً صغيرة- كما يفعله مَن يفرزون أكياس القمامة- من الأنشطة الذهنية ليبنوا فيها ويقيموا نظرة للعالم يجدون فيها راحتهم وشبعهم.

البحث عن عنصر موحد:

كل هذه الأشكال تحتاج إلى عامل موحد ومؤثر ليعطي انطباعاً عن الأنانية وهو باطل. ويصرح الفيلسوف بلاتور بأنه حتى نستطيع أن نرى الأمور على حقيقتها نحتاج أن نتأمل عما تشير لنا لصلاح غير محدود. وهو أقرب للصواب وإن كان خطيراً في عدم تماسكه وغير ملائم. ونحتاج إلى أفكار أفضل مما ينادي به الفلاسفة ليكون لنا أحساس بذواتنا والارتباكات التي تعانيها البشرية.

الله ظاهر في مشهد العالم:

حينما يقرأ المؤمنون ذلك فإنهم يدركون ما يقود إليه ذلك الخلاف. إن النقطة التي نستند عليها هي أن الله كلي الوجود حيث كان في البدء ويعلم النهاية من البداية لأنه أزلي ويعلم كل شيء.

وفوق كل هذا فقد أعطانا كلمته وهي تحتوي الحق الحقيقي كما وأنها لا تعطينا معرفة تستفز تفكيرنا الأمر الذي لا نستطيع مقاومتها – فهو في حقيقة الأمر يخبرنا بكل ما هو حق – فهي ليست فقط تضع أمامنا كل شيء بوضوح بل أعطانا إياها إلهنا وخالقنا ليخبرنا بكل ما نحتاج أن نعرفه «السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَة» (تث٢٩:٢٩).

وليس إعلان الله الذي أُعطى لنا غير كافياً لأننا قد نفسره طبقاً لوجهة نظر العالم أكثر مما يكشفه لنا الكتاب. فقد كان الكتبة والفريسيون يعتقدون بأنهم يدعمون الشريعة وفي الحقيقة فقد كانوا يفسرونها من منظور برهم الذاتي فيرون الشعب الذي لا يفهمه أنه ملعون (يو٧: ٤٩).

إن القصة التي أعلن فيها الرب يسوع سلوك جابي الضرائب والفريسيين توضح ذلك جلياً (لو١٨: ٩-١٤) فالأخيرين لهم معرفة كبيرة عن الناموس واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ونظرتهم لكلمة الله معيبة بشكل لا يتصوره عقل. أما العشار – جابي الضرائب – فهو يدرك بأنه خاطئ ونظرته للأمور صحيحة من منطلق هذه النظرة؛ فيلقي بنفسه في رحمة الله. وقد لا يكون مدركاً لذلك إلا أن نظرته تتوافق مع تعليم الأنبياء والناموس بصورة أفضل مما عليه الفريسيين. إن الاتضاع ضروري للحصول على نظرة صائبة.

نظرة أيوب الدنيوية:

إن سفر أيوب يعطينا الحالة الإنسانية للمؤمن في العالم. إذ نجد أن نظرة أيوب لم تكن كاملة وإن كانت حقيقية كما وأنه لم يعلم ما كان يدور في السماء وإن أدرك صفات الله وفي نفس الوقت لم يكن خافياً عليه أهداف ووسائل القوى الشريرة. وبهذه المعرفة المحدودة والدقيقة يمكننا أن نقّدر ما يحدث لنا وللآخرين ونقبل كل ذلك بوداعة واتضاع مع صبر وشجاعة.

أما عن أصدقائه فقد تمسك كل منهم بوجهة نظره القاصرة؛ يؤمن بأن الله بار وأنه يدين الخطية وفي هذا هم صائبون. أما فشلهم فقد كان في اعتقادهم بأن ما يعانيه المؤمن فهو بسبب الخطية سرية أو علنية كانت.

لم يفهم أيوب لماذا تحَّول الله عنه، وصار عدواً له. وخرجت منه صرخة حزن تكسر القلب «لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ، وَتَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَكَ؟ أَتُرْعِبُ وَرَقَةً مُنْدَفَعَةً، وَتُطَارِدُ قَشًّا يَابِسًا؟» (أي١٣: ٢٤، ٢٥) وبدا له بدوره مكافأة البار وعقاب الأشرار في هذه الحياة. ولذلك أصر على بره وهو لا يفهم ما يجري له. إلا أنه تمسك بإيمانه بأن الله صالح «هوَذَا يَقْتُلُنِي. لاَ أَنْتَظِرُ شَيْئًا. فَقَطْ أُزَكِّي طَرِيقِي قُدَّامَهُ» (أي١٣: ١٥).

كانت حياته محيّرة إلا أنه كان ينظر إلى اليوم الذي فيه يرى الله (١٩: ٢٥-٢٧) وهذه نقطة متوازية وذات مرجعية أعطت أيوب توكيداً وتأميناً لانهياره السريع.

أما أصدقاؤه الثلاثة – وهم مثل المعاصرين الذين يتمسكون بأفكار تعطي معنى لحياتهم – فقد سيطرت عليهم نظرتهم للأحداث التي تحيطهم. إنهم يكيفون الظروف من خلال حدود إطار مفهومهم الناقص.

لقد كان لاليفاز اختبار روحي فطالب بأن تكون هناك معرفة سامية.

أما عن بلدد فقال لأيوب «تضرع إلى القدير» وبرر نفسه إذ قال أيضاً أسأل القرون الأولى – أي ما قبل الطوفان حينما عاقب الله الأشرار من الناس. فكان يثق بأن ما حدث ذلك الوقت هو ما يحدث دائماً (٨: ٥–٨، ٢بط٣:٣–٧) أما عن صوفر فيُذكرنا بأولئك الذين يتشدقون بمعرفة الله دون أن تكون لهم معرفة شخصية به وبالتالي فتصوره كان مشوهاً انعكاساً للحقيقة التي في ذهنه الخاص. والقى باللوم على أيوب بترديده الأكاذيب (١١: ٢، ٣) وأدعى باستبعاد فكر بأنه من الاستحالة بمكان أن إنساناً مثل أيوب يفهم فكر الله. «أ إلى عمق الله تتصل؟ أم إلى نهاية القدير تنتهي؟» (١١: ٧–٩) وفي تساؤله هذا قرر نصف الحق وهذا أخطر بكثير من الكذب. فمن المسلم به أننا بجهودنا الذاتية لا نستطيع أن نجد الله؛ إنه في الحقيقة يبحث عنا حتى يجدنا.

نظرة إبراهيم وإسحاق:

إن الأمر الذي يفشل فيه أعداء صليب المسيح هو قصة إبراهيم وإسحاق. فالبعض يرى فيها أن الله يعترف بالذبيحة البشرية بينما الآخرون يتهمون إبراهيم بخطية القتل. وجميعهم أخطأ في إدراك أن الله أراد أن يعلّم إبراهيم وكيف أنه –تعالى–كان يمتحن إيمانه. ونحن نرى؛ وقد بدا جبل المريا؛ قال إبراهيم لغلاميه «أنا والغلام نذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما» (تك٢٢: ٥) وكاتب الرسالة إلى العبرانيين يقرر أنه منذ أن كان إسحاق هو ابن الموعد فالله قادر أن يقيمه من الأموات «بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ: إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَال.» (عب١١: ١٧–١٩).

وهكذا رأينا أن أيوب وإبراهيم كان يجادل منطقياً وبينما فشل أيوب ليدرك عظمة الله بينما جادل إبراهيم معلناً بأن الله هو إله القيامة. ونظيرهما فقد أعطينا بصيرة لنعرف أفكار الله وصفاته فنناضل بانتصار مع تغيير ظروف الحياة.

البحث عن نظرة المؤمن:

إن عالمنا الحاضر يباشر فيه إله هذا الدهر عمله ليعمي أذهان غير المؤمنين (٢كو٤: ٣-٥). فنظرة العالم هي من وجهة العلم ويحاول أن يلائم حقيقة الخليقة بنظرية غير ممكن إثباتها ألا وهي نظرية التطور أو الاختيار الطبيعي.

من هذا المنطلق- و مع ما يزيد عن مئة عام من الخيال الجامح وتقدم العصر- يحاول أن يساعدنا على الثقة والإيمان بأن هناك مخلوقات جاءت من كواكب أخرى لتحسين نسل البشرية. ذلك بينما الناس في حرب معاً والعالم ملئ بالشر والغضب والعنف.

لقد «خلق الله الإنسان على صورته» (تك١: ٢٦، ٢٧) فنحن مسئولون ونتمتع بعقل ذكي وإدراك عقلاني. وليست هناك حاجة لفكر كثير للبحث عن مصدر إبعاث تلك القدرات مع الوضع الاعتبار بأنها لم تصدر كنتاج للاختبار الطبيعي عبر العصور عن طريق الصدفة.

إن تلك المرأة التي كان بها روح ضعف ثماني عشرة سنة وكانت منحنية (لو١٣: ١١-١٣) تمثل حالتنا البشرية وهي «لم تقدر أن تنتصب» ولم تستطع أن تفعل شيئاً لنفسها أو لجسدها وكأن بها ضمن مَن «ينظرون إلى الأرض وإذا شدة وظلمة قتام الضيق وإلى الظلام (وهي منهم) مطرودون» (إش٨: ٢٢) وإذ هي في هذه الحالة تدخّل الرب «ووضع عليها يديه ففي الحال استقامت ومجدت الله».

وفي اتساق للأمثلة السابقة اضطرب آساف في مزمور (٧٣) حينما رأى أزدهار الأشرار «أَمَّا أَنَا فَكَادَتْ تَزِلُّ قَدَمَايَ. لَوْلاَ قَلِيلٌ لَزَلِقَتْ خَطَوَاتِي. لأَنِّي غِرْتُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ» وكيفما كان أختباره وظلمة عدم إدراكه المفاجئ فقد استطرد في تفصيلات عن ذلك إذ قال «حَتَّى دَخَلْتُ مَقَادِسَ اللهِ، وَانْتَبَهْتُ إِلَى آخِرَتِهِمْ.» (مز٧٣: ٢، ٧، ١٦، ١٧).

وكلمة انتبهت (Understood) تعني لغوياً وضع الأمور في نصابها وربطها معاً. وفي العهد الجديد نجد أن هذه الكلمة تعني "فكر" أنه نظرتنا للأمور من خلال الملجأ الذي فيه نضع أجزاء المعلومات في نور المعرفة التي يتيحها لنا الرب. ومن هناك فإن نظرة المؤمن للحياة تكتسب الإدراك ويجد حل جمع المشكلات.

هكذا علينا أن نضع في حساباتنا أنه يجب علينا أن نقضي أوقاتًا في المقادس نتكلم إلى الرب ونسمعه حينما نقرأ الكلمة المقدسة.

موضوع العدد (٢) بقلم: ديفيد. ر. رايت

احتفظ وتمسك بالنظرة المسيحية ولا تسبى بالفلسفة

«أَقُولُ هذَا لِئَلاَّ يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِق» (كو٢: ٤).

«اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِل، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ» (كو٢: ٨).

«فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْل أَوْ شُرْبٍ، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَل أَوْ سَبْتٍ، الَّتِي هِيَ ظِلُّ الأُمُورِ الْعَتِيدَةِ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ. لاَ يُخَسِّرْكُمْ أَحَدٌ الْجِعَالَةَ، رَاغِبًا فِي التَّوَاضُعِ وَعِبَادَةِ الْمَلاَئِكَةِ، مُتَدَاخِلاً فِي مَا لَمْ يَنْظُرْهُ، مُنْتَفِخًا بَاطِلاً مِنْ قِبَلِ ذِهْنِهِ الْجَسَدِيِّ، وَغَيْرَ مُتَمَسِّكٍ بِالرَّأْسِ الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ بِمَفَاصِلَ وَرُبُطٍ، مُتَوَازِرًا وَمُقْتَرِنًا يَنْمُو نُمُوًّا مِنَ اللهِ» (كو٢: ١٦-١٩).

كيفما نسمع عن التأثير بالفلسفة وتأثيرها في سبي النفوس إليها؛ فإننا نسمع عن أشخاص تم معهم غسيل مخ أو برمجتهم لقبول تلك الفلسفات. من يرى سؤالاً أو اعتراضًا حيال تعاليم حركات التطرف ولكن ليس بمنهج دراسة الفلسفة إذ أن الأخيرة هي نبذ الحكمة والمعرفة. وكيف أن ذلك يقود ويؤدي إلى سبي الأشخاص؟ إن الكتاب المقدس يكشف لنا أن ذلك ممكن؛ ففي (كو٢: ٨) نقرأ – كما رأينا في صدر المقال؛ كما وأن الكلمة «سبي» تعني سرقة وحمل غنيمة أو فريسة لأسرها.

وهكذا نجد أن كلمة الله تعلن أنه من السهولة لأي منا أن يُحمل بعيداً عن الحق لعبودية الإثم خلال الفلسفة. ولقد حذر الرسول الكولوسيين المؤمنين بشدة أن يتحصنوا ضد هذه الفلسفة. ولقد نادي المعلمون الكذبة بتعاليم ديانات مختلفة لخلق مظاهر حياة مسيحية تبدو باهرة إلا أنها في حقيقتها زائفة (كو٢: ١٦-١٩) مما يدعي اليوم أخطاء جسيمة لمعتقدات مزعومة ومرفوضة. وإن كنا مدعوين لنحترس لئلا يخدعنا أحد بكلام ملق (٢: ٤) بل أيضاً ألا يسبينا أحد بالفلسفة.

الخطر الداهم:

أن كلمة الله لا تنتقد الفلسفة حتى فيما سبق وذكرناه كما وأنها لا تتهم وترفض الدراسات الفلسفية فهي لا تقول – مثلاً – ألا ينضم الطالب المسيحي إلى دراسات في الفلسفة بل يقول صراحة بأن أية

فلسفة ليس المسيح مركزها ومحورها هي فارغة وخادعة. لذلك يجب على المؤمن أن يكون في حرص شديد عند دراسة الفلسفة لأنها دائماً كُتبت بواسطة غير المؤمنين من وجهة نظرهم.

كثير من الطلبة غير المتشككين انخدعوا وسبتهم الفلسفات الفارغة والخادعة بينما المعلمون الكذبة لطوائف دينية والمتطرفون خَدعوا بسهولة – حتى بواسطة غير المسيحيين العاديين – بخداع فلسفي قدمه في قاعات الدراسة معلمون مرموقون تبدو منطقية ومستنيرة عقلياً. تحت مثل تلك الظروف يقع الطلبة المؤمنون للتجربة خلال ما يبدو من ضغوط للشك والتوافق أو التفكير. مثل هذه التوجهات "ربما يكون أصدقائي المؤمنين على خطأ أنهم يفهمون حسناً بسذاجة ومن الناحية الأخرى فمنَ يحاضرنا قد يكون على صواب ولماذا يظن المؤمنون أنهم يملكون ناصية الحق" هل هذه الأفكار تتذرك؟ دعنا نعاود التفكير في هذا الأمر مرة أخرى قبل رفضنا للمؤمنين كمن ليست لهم معرفة.

كما ذكرنا سابقاً؛ فالخطر المرتبط بالدراسة الفلسفية يكمن في منظورهم أي نظرتهم للأمور. فكل شخص له مجموعة افتراضات بخصوص الكون وهي أساس فلسفته. ففلسفة الشخص تعتمد أساساً على مجموعة من الافتراضات التي يضعها ابتداءً. فوجهة نظر المؤمن هي أحدى الافتراضات المبدئية فيما يتعلق بالعالم الذي نعيش فيه إلا أنها في نفس الوقت ما يعلمنا إياها الكتاب المقدس: حيث أنها تعبر عن الهدف الأسمى ألا وهو أن المسيح هو المركز ولئن كان ذلك غير مقبول لدى غالبية الناس؛ فوجهة النظر الكتابية هي التي تنبع من فكر الله.

<u>التوضيح:</u>

للتوضيح دعنا نتأمل صورة كبيرة مقسمة إلى أجزاء منفصلة عن بعضها حيث تكوّن كل قطعة بذاتها جزءاً من تلك الصورة – ولنطلق عليها كلمة "الحق" وبتجميعها معاً نحصل على الحق –صورة – كاملاً. وبالتالي ليست أية قطعة في وضع شاذ بل هي تكمّل الشكل كله وسواء كان ذلك يتعلق بمجال الرياضيات أو الطب أو الأدب فالأمر لا يختلف إذ يجب أنها جميعاً تترابط معاً. ومن الطبيعي والمبدئي أننا – لكي تكتمل الصورة معاً – يجب أن نحدد الإطار الخارجي لها ثم نقوم بوضع القطع الأخرى في مكانها الصحيح لتكتمل الصورة تماماً.

وعلى نفس النمط نصوغ فلسفاتنا وإطارنا العام هو نظرتنا الخاصة أو مجموعات الافتراض المبدئية، وكل جزئية أو قسم من الحق الذي نجمعه هو متناسب ومتألق معاً مع الإطار العام وإذا انحرف إطارنا بأية صورة فإن أجزئها المتفرقة سوف لا تكون في مكانها الصحيح. وهذا ما نلحظه

في مجال الفلسفة حيث تبدو متناسبة مع بعضها وبالأخص لدى طلبة المحاضر في الفلسفة باعتباره محط احترامهم في ذلك المجال. فقد تبدو حججه كقطع توضع –ولو في غير تناسب مع بعضها البعض – تحمل في طياتها أركاناً ضعيفة لا تتماسك معاً وهكذا تصبح فارغة وإن بدت لأول وهلة جيدة وفي حقيقتها خادعة.

والطالب المؤمن – إذ ليس له ذهن ذلك المحاضر غير المؤمن– إلا أنه لديه الإطار الصحيح وافتراضاته نابعة من كلمة الله وليس من أفكاره التي قد تنحرف. وإذ يتناول أجزاء الحق – التي لا يفهم بعضها جيداً – إلا أنه يضعها في ثبات معاً في ذلك الإطار العام لوجهة نظر المؤمن. إنه لا يشوهها أو يبدو غير أمين فكراً.

إن نظرة المؤمن في حقيقتها متماسكة ولا تترك أسئلة عسيرة دون إجابات شافية وما هي وجهة نظر العالم فيما يخص بالوجودية أو المذهب الطبيعي للرد على مثل تلك الأسئلة مثلاً؟ بينما يعطي المؤمن إجابات صائبة وسديدة عن المعجزات ومظاهر السحر والشعوذة والجريمة والمحبة والجمال وغيرها من منظور العالم فهل يعطي الفلاسفة إجابات كافية في هذه المجالات؟

ويخبرنا الرسول بولس في (كو٢: ٨) بأن الفلسفة فارغة وخادعة، لأن المسيح ليس مركزها، لأنها «حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» والفلسفة المبنية على أساس تقليد الناس هي من صنع الإنسان ومَن ذا الذي يقول بأن الإنسان لا يخطئ؟ ومن الجهة الأخرى فإن أول أساس لافتراضات المؤمن لوجهة نظره أن فلسفتها نابعة من فكر الله وأعلنه للمؤمنين عن طريق كلمته. وعلينا نحن المؤمنون أن نحترس بالأخص أن نخلط ونمزج أفكاراً تنبع من وجهات نظر الناس كما كانت المشكلة لدي الكولوسيين.

المثال:

فلنتأمل مثلاً في نظرية التطور وهي نابعة من النظرة إلى الطبيعة والتي تبنى على أنه ليس هناك عالم خارق للطبيعة وهو افتراض لتلك النظرية والبشر عبارة عن مخلوقات معقدة تطورت من مادة مجردة عبر الدهور.

وبديهي أن التطور نابع من المذهب الطبيعي وبديهي أيضاً بأنه ليس ما يراه المؤمن أيضاً إذ أنه – ذلك المذهب – ليس كتابياً بل مجرد إقحامه كفكرة غريبة وشاذة في الفكر المسيحي.

أحترس – عزيزي القارئ – من المخاطرة بأن تُسبى بالفلسفة التي تمتد جذورها من تقليد الناس وليس من الكتاب المقدس.

إن الفلسفة – وهي لا تتخذ المسيح مركزاً لها – فارغة وخادعة؛ ليس فقط لأنها من ترتيب البشر بل أيضاً لأنها «حسب أركان العالم» (كو٢: ٨) وما معنى ذلك؟ هناك تفسيرات كثيرة في هذا الخصوص، أقواها تلك التي تقول بأن أية فكرة ليس المسيح محورها هي ضئيلة وتافهة وغيرها قد تبدو كافية وبها شيء من الصحة في بعض المجالات ولا تستطيع أن تعطي أسساً كافية لتفسيرها. فوجهة النظر العالمية بخصوص تناقل الأجيال في الحركة الإنسانية – مثلاً – لا تعطي أساساً فلسفياً كافياً لحقيقة أن الإنسان كائن معنوي أي محتمل ولكنه غير مثبت بالبرهان.

التحذير

وفي (كو٢: ٩) يقرر الرسول بولس بتوكيد واضح أن الرب يسوع المسيح هو الله «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا» وإذ الأمر كذلك فهو – له المجد – مركز وبؤرة هذا العالم. كما يقرر نفس الرسول في (رو١١: ٣٦) «لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ» وكما سبق الإشارة فإن كل فلسفة ليس هو مركزها ومحورها هي في حقيقتها فارغة وخادعة لأننا نقرأ في (كو٢: ٣) القول عنه «الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ».

ويقرر الرسول مرتين في (كو٢) حيث يحذرنا «فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ» و «لاَ يُخَسِّرْكُمْ أَحَدٌ الْجِعَالَةَ» فلا تُخدَعوا إذ تستسلمون وتُسبون بفلسفة مُهترئة وخادعة.

الأخبار السارة

بساطة الإنجيل

عندما تحدث الرسول بولس عن كرازته بالإنجيل لأخوة كورنثوس فقد كتب قائلاً: «وَكَلاَمِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ» (كورنثوس الأولى٢: ٤) والواقع أن الله استحسن أن يخلص الناس بجهالة الكرازة (كورنثوس الأولى ١: ٢١) أي الكرازة البسيطة بصليب المسيح والتي تبدو أمام فلاسفة العالم وكأنها "جهالة" فجهل الله (أي ما ينسبونه لله جهلاً) أحكم من الناس(في فلسفاتهم وثقافاتهم) (كورنثوس الأولى ١: ٢٥).

كما حذر الرسول بولس نفسه بالوحي أيضاً أخوة كولوسي من الفلسفة التي تسبي العقول وتخلب الألباب وتأخذ الإنسان بعيداً عن بساطة الكرازة بإنجيل المسيح الواضح، الإنجيل الذي كرز به الرسول بولس، والرسل والأخوة في العصر الرسولي والذي يوضحه بكلمات لا لبس فيها أو غموض للكورنثيين قائلاً: «وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ» (١كو١٥: ١).

إن الكرازة بإنجيل المسيح الذي هو مركزه صليب المسيح، هو حكمة الله، وقوة الله، وهو على بساطته إلا أنه على مدى أكثر من ألفي عام هو – وهو وحده – منح الملايين التغيير والحرية والكرامة، والتحول عن فساد القلب إلى نقائه، ومن الأيادي الملوثة بأخذ ما ليس لها إلى الأيادي العاملة بالخير والعطاء...وكل ما لا تزال فلسفات البشر تبحث عنه بحثاً دءوبًا مكلفاً، بحث عن السراب والوهم– حتى الآن– وهو متاح لكل إنسان بكل بساطة في المسيح.

عزيزي القارئ:

هل أنت مع الباحثين عن الوهم والسراب في فلسفات هذا العالم، مثقفيه وساسته؟ ليتك تأتي إلى المسيح الآن فتنال التغيير الحقيقي وتصل بأقصر الطرق وأقل تكلفة إلى الخلاص الأبدي، لأن المسيح هو من دفع الثمن كاملاً على الصليب!

رسالة يهوذا

تقسيم العهد الجديد بحسب أسفار موسى الخمسة:

١. الأناجيل الأربعة ← التكوين ← بداية جديدة
٢. سفر الأعمال ← الخروج ← الخلاص وإذاعته وتأثيره
٣. رسائل الرسول بولس (١٤) ← اللاويين ← الكنيسة كجسد المسيح وكشهادة له
٤. الرسائل الجامعة (لغير بولس الرسول) ٧ ← العدد ←مخاطر وتحديات في طريق المؤمنين في البرية
٥. سفر الرؤيا ← التثنية ← مشارف المجد

وضع رسالة يهوذا بين الرسائل الجامعة السبعة:

١. رسالة يعقوب ← الإيمان العملي
٢. رسالتا بطرس ← الرجاء
٣. رسائل يوحنا الثلاثة ← الآب والابن والروح القدس و الشركة
٤. رسالة يهوذا ← الارتداد

رسائل الأيام الأخيرة (الطابع الروحي والأدبي والعلاج)

١. رسالة تيموثاوس الثانية
٢. رسالة بطرس الثانية
٣. رسالة يوحنا الثانية
٤. رسالة يوحنا الثالثة
٥. رسالة يهوذا

هي واحدة من أربع رسائل تتكون كل منها من أصحاح واحد مع كل من:

١. رسالة فليمون
٢. رسالة يوحنا الثانية
٣. رسالة يوحنا الثالثة

الموضوع الرئيسي: الحديث عن الإيمان المسلَّم مرة للقديسين؛ أي حقائق المسيحية الجوهرية. وهو قد تحدَّث في الألزم عوضًا عن الأفضل قابل فيلبي ١ :٢٣و٢٤

أوجه الشبه بين رسالة يهوذا، ورسالة بطرس الثانية

م	رسالة يهوذا	رسالة بطرس الثانية
١	٢	٢ :١
٢	٤	١ :٢
٣	٦	٤ :٢
٤	٧	٦ :٢
٥	٨	١٠ :٢
٦	٩	١١ :٢
٧	١١	١٥ :٢
٨	١٢	١٧ :٢
٩	١٦	١٨ :٢
١٠	١٨	٢: ١؛ ٣: ٣

أوجه الاختلاف بين رسالة يهوذا، ورسالة بطرس الثانية

م	رسالة يهوذا	رسالة بطرس الثانية
١	الارتداد عن الإيمان الأقدس ودينونته التحوُّل عن التعليم المسيحي الصحيح	سيادة الله وحكمه على العالم الفاجر الأثيم

٢	مرتدون صاروا أعداء لله وللمسيحية	الشر والإثم الأدبي
	أشار إلى شعب إسرائيل المتحول بعد	
٣	خلاصه من العبودية إلى مقاومته لله	معلمون متربحون من الخدمة
٤	لم يشر إلى الطوفان نهائيًا	لم يشر إلى ذلك قط
	تحويل نعمة إلهنا إلى الدعارة	
٥	تشير إلى "ربنا يسوع المسيح"	أشار إلى حادثة الطوفان
٦	الشخصية البارزة في الحديث "أخنوخ"	التحوُّل عن حياة البر والاستقامة إلى الإثم
٧		تشير إلى الرب الذي اشتراهم
٨		الشخص البارز هو "نوح"

- كُتبَت رسالة بطرس الثانية نحو عام ٦٨ أو ٦٩م، أما رسالة يهوذا فيرجح البعض أنها كُتبَت قبل هذا التاريخ بنجو عامين استنادًا إلى أنها الرسالة الموجزة التي اعقبتها رسالة بطرس الثانية الأكثر تفصيلاً.

لكن عددًا غير قليل من الباحثين نفى ذلك، حيث أن هناك أوجه اختلاف كبيرة بين الرسالتين، ولا يمكن – بحسب وجهه نظرهم – أن تكون الواحدة إسهابًا للأخرى، كما اعتبروا إشارة يهوذا في رسالته إلى "أقوال رسل ربنا يسوع" (ع١٧) إشارة ضمنيه إلى رسالة بطرس الثانية (ص٣) فتكون رسالة يهوذا قد كُتبَت بعد عام ٧٨م (خراب أورشليم)، وقبل موت يوحنا الحبيب (أي قبل عام ٩٠م) والأرجح أنها كُتبَت عام ٧١ أو ٧٢م.

وإن كان الأرجح أن هذه الرسالة كُتبَت قبل رسالتي يوحنا الثانية والثالثة، وإن كان التقليد يذكر أنها كَتبَت بعدهما. غير أنه في كل الأحوال هذا لا ينقص من قدر الرسالة شيئًا، كما أن وضعها كآخر رسالة قبل سفر الرؤيا (الدينونات) موفق للغاية.

يهوذا كاتب الرسالة:

هناك نحو ٦ أشخاص ذُكروا في العهد الجديد لهم نفس هذا الاسم:

١. يهوذا الاسخريوطي (الخائن) (لو٦: ١٦)
٢. يهوذا الجليلي (المُضِل) (أع٥: ٣٧)
٣. يهوذا الذي كان ساكنًا في زقاق المستقيم في دمشق وقد أقام عنده شاول (بولس) (أع٩: ١١)
٤. يهوذا الملقَّب برسابا من المتقدمين في الأخوة (أع١٥: ٢٢-٣٢)
٥. يهوذا أخو يعقوب (أو ابن يعقوب حسب الكتاب المشوهد: لو٦: ١٦؛ أع١: ١٣) وهو أحد الرسل وتلاميذ المسيح الاثنى عشر، ويُسَمَّى أيضًا لبَّاوس، وتدَّاوس (مت١٠: ٣؛ مر٣: ١٨)
٦. يهوذا أخو الرب (مت١٣: ٥٥؛ مر٦: ٣)، وهو أحد إخوته الذين آمنوا به بعد قيامته من بين الأموات.

المرجح كثيرًا هو أن يهوذا أخو الرب هو كاتب هذه الرسالة، وهو أخو يعقوب كاتب رسالة يعقوب أيضًا. ولو أن البعض يرون أن يهوذا الرسول (أحد الاثنى عشر) هو الكاتب مستندين على أنه مادامت هذه رسالة بالوحي فلابد أن يكون كاتبها رسولاً. غير أن هناك رسل لم يكتبوا رسائل بالوحي مطلقًا، والعكس صحيح أيضًا؛ فإن بعض كتبة الوحي لم يكونوا رسلاً مثل مرقس ولوقا.

كما أن يهوذا الرسول هو "ابن يعقوب" وليس أخو يعقوب بحسب الأصل اليوناني (كما رأينا)، ولو كان هو الكاتب لقال مثلاً "يهوذا رسول.."، وقد أشار إلى الرسل في ع١٧ باعتبار أنه ليس منهم.

وكونه لم يشر لكونه أخو الرب، فهذا لأن العلاقة بعد صعود المسيح إلى السماء هي علاقة روحية معه.

وأسلوب كتابة الرسالة: أسلوب الثلاثيات، كما يلي:

١. يهوذا – عبد يسوع المسيح – وأخو يعقوب (ع١)
٢. المدعوين – المقدسين – المحفوظين (ع١)
٣. المحفوظين (ع١) – أحفظوا (ع٢١) – يحفظكم (ع٢٤) ← إيجابيًا
٤. لم يحفظوا (ع٦) – حفظهم (ع٦) – محفوظون لها (ع١٣) ← سلبيًا
٥. الرحمة – السلام – المحبة (ع٢)
٦. الرحمة – رحمة ربنا (ع٢١) – ارحموا (ع٢٢)
٧. المحبة (ع٢) – المحبية (ع١٢) – محبة الله (ع٢١)
٨. أيها الأحباء (ع٢) – (ع١٧) – (ع٢٠)
٩. اصنع كل الجهد – اضطررت – واعظًا (ع٣)
١٠. فجَّار – يحولون نعمة ربنا إلى الدعارة – ينكرون السيد (ع٤)
١١. الشعب (ع٥) – الملائكة (ع٦) – سدوم وعمورة (ع٧)
١٢. ينجسون الجسد – يتهاونون بالسيادة – يفترون على ذوي الأمجاد (ع٨)
١٣. يفترون (ع٨) – حكم افتراء (ع٩) – يفترون على مالا يعلمون (ع١٠)
١٤. طريق قايين – ضلالة بلعام – مشاجرة قورح (ع١١)
١٥. أشجار خريفية (ع١٢) – أمواج بحر هائجة (ع١٣) – نجوم تائهة (ع١٣)
١٦. مدمدمون – متشككون – سالكون بحسب شهواتهم (ع١٦)
١٧. المعتزلون بأنفسهم – نفسانيون – لا روح لهم (ع١٩)

١٨. الروح القدس (ع٢٠) – الله (الآب) (ع٢١) – ربنا يسوع المسيح (ع٢١)

١٩. ارحموا (ع٢٢) – خلِّصوا (ع٢٣) – مختطفين (ع٢٣)

٢٠. الخوف – النار – المدنس (ع٢٣)

٢١. الإله الحكيم – الوحيد – مخلصنا (ع٢٤)

بالإضافة إلى ثلاثية ارتداد جماعي، وثلاثية ارتداد فردي، ونبوة ثلاثية لأخنوخ، كما نرى في تقسيم الرسالة كالتالي:

تقسيم الرسالة:

١. افتتاحية (ع١، ٢)

i. المرسل ١

ii. المرسل إليهم ١

iii. التحية الإفتتاحية ٢

٢. غرض الكتابة (ع٣، ٤)

٣. صور الارتداد (ع٥–٩)

i. ثلاثية ارتداد جماعي: الشعب القديم – الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم – سدوم وعمورة (٥–١٠)

ii. ثلاثية ارتداد فردي: قايين – بلعام – قورح (١١–١٩)

٤. القضاء الإلهي (ع١٤، ١٥)

i. أخنوخ ونبوته الثلاثية (طوفان – النبوة في الرسالة – مجيء الرب مع قديسيه)

٥. تحريضات سباعية عملية (ع١٧–٢٣)

٦. تسبحة سباعية ختامية (ع٢٤، ٢٥)

أهم المراجع:

- شرح يهوذا: متى بهنام
- البوق المنذر: إبراهيم صبري
- رسالة يهوذا: هاملتون سميث ... وغيرها

خواطر شعرية

بقلم: زكريا عوض الله

تحديات أسرية

مرثا، لماذا الهمُ فيك كثير والاضطراب، وفكرك موتور
أختك مريم في سكوت هادئ وجدت نصيباً ليس عنه عبور
حفظته في قلب لها شبعت به واستأنست بضياه وهو النور
الحاجة العظمى لهذا الوحيد فهو النصيب الحق والميسور
كوني كمريم في هدوء الراحة في الراحة العظمى ولا تعسير
هل همك هذا يزيدك قامة أو قوة يجديك ذا التفكير؟

❖

إن الغراب ليس يملك مخزناً بل إنه فوق الزروع يطير
والله يعطيه الغذاء بنعمة منه وإن ربك في العطاء كبير
حتى صغاره تفتح أفواهها والله يرزقها ولا تغيير
لا هم يزعجها ولا جيب لها فالله يرعى إنه لقدير

❖

بل ذي الزنابق في الحقول جميلةً فاقت ثياب المُلك وهو حرير
من غير ربك قد كساها ثوبها أفليس يكسو الناس وهو خبير؟

❖

بل ذلك العصفور لا يهوى إلى الرضى بغيره إنه لمجير
الله في العرش المدبر وحده في كفه الأكوانُ والتدبير
وذي النجوم وهي جد كثيرةٍ كالرمل يحصيها نعم وينير
لا النجم يكبر عن رعايته ولا تلك الزهورُ وحجمها لصغير
الكل في الملكوت تحت نظامه النجمُ والأزهارُ والعصفورُ

❖

مرثا، أفيقي للإله فإنه في كفه الأكوان كيف تدور
طوبى لمن عرف الإله وحقه فهو الإله وليس معه نظير

❖

فلماذا همك مرثا؟ تلك خطية بل توبي عنها..وربك لغفور
أضناك همك مرثا..تلك عبادة للذات إن العبد فيها مرير
وثقي بربك، إلقِ همك عنده فيه الوجود الهانئ المسرور

دراسات مسلسلة

حياة بطرس

الفصل السابع: التجلي ودفع الجزية (مت١٧)

في الفصل السابق رأينا الرب متكلماً إلى تلاميذه حيث أخبرهم عن نتيجة إتباعه وهي العار الذي هو نصيبهم ولكن الرب وجه أنظارهم إلى المستقبل في ع٢٧ من الأصحاح السابق وذلك لكي يعطيهم الباعث والدافع لحياة التكريس في الطريق الآن حيث قال لهم: "فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ". على قدر ما نحن للمسيح الآن على قدر ما نأخذ مكافأة منه في ذلك اليوم وعلى قدر ما نكون غير أمناء مع المسيح على قدر ما نخسر من مكافآت وهذا الأمر لا يفرح قلب المسيح لذلك أقول لكم من الضروري أن نعيش للمسيح بحق الآن، لقد قال في (مت١٦: ٢٨) «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ».

لقد سبب هذا العدد صعوبة في فهمه للكثيرين ولكن الإجابة عن هذا العدد هو العدد الأول من مت١٧ حيث يعطينا الحل لهذه الصعوبة، فهناك ثلاث أشخاص رأوا صورة لتأسيس الملك.

لم يقل الرب جميع الواقفين هنا لكن قال قوم لا يذوقون الموت حتى يروا أبن الإنسان آتياً في ملكوته. وإذا رجعنا لرسالة بطرس الثانية نقرأ: «أَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ.لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى:هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ. وَنَحْنُ سَمِعْنَا هذَا الصَّوْتَ مُقْبِلاً مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ» (٢بط١: ١٦-١٨) في هذه الأعداد يعطي بطرس تفسيراً لما رأى فوق الجبل المقدس، ماذا رأوا؟ لقد كانوا شهود عيان لعظمته. وبتعبير آخر أن كلام الرب قد تم. أن بعضاً منهم لا يذوق الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته. إنها صورة مصغرة لملكوت الرب يسوع، حقاً إن الرب رُفض ولكن سيعود إلى هذه الأرض لتأسيس مُلكه ولقد أختار أن يرى أولئك الثلاثة المفضلين صورة ذلك الملكوت، إنها صورة مصغرة تامة لهذا المُلك، موسى كان هناك يمثل أولئك الذين ماتوا وذهبوا إلى القبر وسوف يقيمهم الرب وإيليا يمثل أولئك الذين سوف لا يموتون إطلاقاً بل سيُخطفون وسوف يتغيرون لملاقاة الرب في الهواء عندما

يأتي لأجل قديسيه وأما بطرس ويعقوب ويوحنا فيمثلون القديسين الأحياء على الأرض في زمن المُلك الألفي.

إن حادثة التجلي وردت في الأناجيل الثلاثة متى، مرقس، لوقا (الأناجيل التلخيصية) وأما إنجيل يوحنا فهو لا يذكر حادثة التجلي. فذلك الإنجيل ممتلئ بالأمجاد الأدبية للرب تلك الأمجاد التي لا تُرى من الخارج حيث يصفه متى ومرقس ولوقا مع وجود اختلاف طفيف بينهم، يقول لوقا: «وَبَعْدَ هذَا الْكَلاَمِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَل لِيُصَلِّيَ» (لو٩: ٢٨) يقول لوقا"وبعد ثمانية أيام" وأما متى ومرقس يقولان "بعد ستة أيام".

سؤال: هل هناك أي تناقض؟ لا يوجد البتة ولكن متى كان يكتب من وجهة النظر اليهودية حيث أن اليوم السابع هو يوم المجد لذلك يقول بعد ستة أيام، وأما لوقا فهو ينظر إلى الأشياء من وجهة نظر أخرى وهي اتجاه القيامة مبيناً باليوم الثامن(البداية الجديدة) حيث يقول «وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام» كلاهما صحيح وأما متى فهو لا يحسب اليومين الذين تم فيهما هذا الكلام بينما لوقا يحسب هذين اليومين إنهم ستة أيام بالضبط، أيام كاملة وقعت بعد النبوة وتحقيقها، فلا يوجد تناقض أو خطأ في ذلك أو أي نص كتابي آخر، فأي خطأ نتخيله يوجد في الذين يقرأون كلمة الله وليس في الكلمة ذاتها.

عندما أخذ الرب تلاميذه وصعد بهم إلى الجبل كان ذلك ليلاً ومن الواضح أن التلاميذ بدأوا في النوم ويقول لوقا: «فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه» (لو٩: ٣٢).

فمن الواضح أن استعراض هذا المجد – مجد ابن الإنسان – بدأ قبل أن يستيقظوا، لقد صعد الرب إلى الجبل ليصلي وعندما صلى وقد استمرت صلاته حتى الليل ونام تلاميذه الثلاثة، وبينما هم نيام قبل المسيح مجداً من الله الآب وهذا المجد أضاء حول ابن الإنسان المبارك، إنه لم يكن المجد الأساسي أو مجده الإلهي الذي كان مختفياً خلف الحجاب(حجاب الناسوت) ولكن مجد اكتسابي لابن الإنسان، وللأسف كان بطرس في شركة قليلة مع الآب فيما يختص بهذا المجد الذي هو ألمع من الشمس حيث ثبت نظره على المجتمعين موسى، إيليا وتحدث بغير حكمة كما سوف نرى.

إنها رؤية جديرة بالتأمل حقاً حيث نقرأ: «وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ». (مت ١٧:٢، مر٩: ٣، لو٩: ٢٩) وعندما استيقظ هؤلاء التلاميذ

الذين كانوا نياماً رأوا الرب وقد تغيرت هيئته. ولكن ليس بمفرده لأن موسى وإيليا كانا يتكلمان معه، أعتقد أنه من الجميل أن تلاحظ إحساس موسى وإيليا بما كان يتناسب مع المسيح في هذه اللحظة.

إن بطرس المسكين يستيقظ من النوم ويتكلم بغير حكمة ويضع الرب في مستوى موسى وإيليا، لقد كان موسى وإيليا رأسين للتاريخ اليهودي، موسى أعطى الناموس، إيليا المُصلح، موسى قد مات ودفنه الرب بيده وإيليا لم يمت بل اختطف إلى السماء في مركبة نارية (٢مل٢: ١١).

لقد جاهد كثيراً لكي يرد الشعب عن ضلاله ويرجع إلى الناموس الذي تركه ولكنه فشل في ذلك وهرب إلى حوريب إلى المكان الذي أُعطي منه الناموس وطلب لنفسه الموت: «وَطَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: قَدْ كَفَى الآنَ يَا رَبُّ. خُذْ نَفْسِي لأَنِّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي» (١مل١٩: ٤). ولكن الله لم يجيبه عن ذلك بل أخذه إلى السماء دون المرور بالموت والآن وسيط الناموس والمُصلح يظهران معاً مع المسيا فوق جبل المجد ويتكلمان معه عن خروجه إلى أورشليم، لا يتكلمان معه عن مجده، ولا عن ملكوته ولكن عن الموضوع الذي يتناسب مع ما سوف يحدث معه في هذه الآونة لأنه كان مزمعاً أن يضع حياته لأجل خاصته، إنه من الجميل هنا أن نرى عندما تكون في شركة مع الرب يتعلم القلب ما هو مناسب للرب.

ثم نرى في متى ١٧ صورة صغيرة لملكوت لرب يسوع الآتي حيث الجانب السماوي يمثله موسى الرجل الذي مات وقام من بين الأموات وأيضاً يمثله إيليا الرجل الذي صعد إلى السماء دون أن يموت، هذان الرجلان يصوران القديسين السماويين بعضهم يقوم من بين الأموات ويتغيرون وبعضهم يخطفون عند مجيء الرب ثانية ثم نرى بعد ذلك الجانب الأرضي مصوّراً في بطرس ويعقوب ويوحنا حيث يظهرون لمعان مجد ابن الإنسان عندما يأتي ويؤسس ملكوته.

ترى هنا موسى وإيليا مشغولين فقط بالرب يسوع في هذا المشهد – مشهد الملكوت – سواء من الجانب السماوي أو الأرضي سوف يعرف المؤمنين بعضهم البعض ولكن ستظل مشغوليتهم تماماً بالرب نفسه.

ولكن بطرس في هذا المشهد لمع أمامه المجد فقال: «يَارَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ». (مت١٧: ٤)

ويصف لوقا قائلاً: «ولم يكن يعلم ما يقول» (لو٩: ٣٣) بينما يقول مرقس «لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به إذ كانوا مرتعبين» (مر٩: ٦).

ويبقى لنا هذا أنه أمر خطير على القديس أن يُعلَّم دون أن يكون لديه الشعور الأكيد أن هذا هو رأي الرب فيما يقول، فموسى وإيليا كانا يتكلمان معه عن خروجه العتيد أن يكون في أورشليم، وكما لاحظنا أن بطرس لم يكن يعلم ما يقول ولكنه كان مأخوذاً بمنظر موسى معطي الناموس وإيليا المُصلح والمسيا لذلك قال: «جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ» وبهذا الكلام يضع ابن الله المخلص وموسى معطي الناموس وإيليا المُصلح في مستوى واحد، لذلك لم يستطع الله الآب أن يسكت عند ذلك لذلك «إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا».

مما لاشك فيه أن بطرس فرح فرحاً عظيماً عندما رأى المسيا ومعطي الناموس والمُصلح معاً، إن كل ما رغب فيه هو استمرار هذا المشهد، ربما تذكر الرب عندما قال له "أذهب عني يا شيطان" بطرس الذي سجد عند قدمي الرب وقال له: «أنت المسيح ابن الله الحي» يبدو أنه فقد كل هذه الدروس لذا وضع ابن الله في مستوى موسى وإيليا، وبالرغم من أنهم أفاضل لكن الله لم يسكت عن هذا الهجوم على ابنه المحبوب لذلك نقرأ على الفور إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (ع٢٤).

سؤال: ما هي هذه السحابة اللامعة؟ أعتقد أنها سحابة المجد التي هي لمحة من بيت الآب الذي لنا ولقد أرتعب التلاميذ عندما دخل موسى وإيليا في السحابة، أن تقترب هكذا إلى الله كان هذا أعلى من إيمانهم وتوقعاتهم ولكنه يا له من درس نتعلمه من هذا، فيوم موسى قد انقضى ويوم إيليا قد انتهى ولكن يبقى واحد فقط الذي كل سرور الآب به حيث قال عنه «له اسمعوا»، عند المعمودية قال الآب فقط «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» ولم يقل «له اسمعوا» لأنه كان من المفروض أن يسمعه كل واحد ولكن هنا عندما يساويه بطرس بموسى وإيليا فكان لابد من صوت الآب يقول: «له أسمعوا».

في أيامنا الحاضرة لا يطالب الناس بثلاث مظال لكن للأسف هم ينادون بصوت عال بمظلتين (دون المسيح أصلاً)، فمظلة الناموس الذي يضعونه في مستوى المسيح مع أن كل الحق مُركّز في شخص المسيح.

إن الناموس هو تعبير حكم الله على الإنسان. لكن يوم الناموس قد مضى وانتهى فلابد أن يعطي مكاناً لإعلان الله الكامل وعن علاقة مباركة وشركة مع الآب والأبن تنبع من الفداء الكامل لذلك يقول بولس «لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو٦: ١٤) هل هو الرب نفسه الذي تسمع له الآن؟ هل تخضع قلوبنا لكي يقودنا هذا الصوت المبارك إلى قرب ومودة مع الرب؟

إن بطرس بكل تأكيد لا يلمع هنا، موسى معطي الناموس ولكن الناموس لم يخلص الإنسان، إيليا كان هو المُصلح ولكن الإصلاح لم يخلص الإنسان، إنه يسوع فقط ابن الله يستطيع أن يخلص الإنسان. تبارك اسمه! إنه مُخلِّص أي إنسان يأتي إليه، هل تأتي إليه أيها الصديق؟ يقول الآب «له أسمعوا»، إذاً هناك صوتاً واحداً نسمع له الآن هو صوت الابن الحبيب. لقد سقط بطرس على وجهه مع باقي التلاميذ عندما سمعوا هذه الكلمات وخافوا جداً ولكن الرب يسوع لمسهم قائلاً: «قوموا ولا تخافوا» «ففتحوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده» (مت١٧: ٨) هل سمعت صوته يا صديقي؟ لقد قال «تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» ليعطك الرب أن تسمع صوته، وأسمع وآمن تنال الحياة، إن صوت موسى ربما ينهضك وصوت إيليا يعمق فيك الشعور بالخطية ولكن صوت الرب يسوع العذب سوف يهدئ قلبك المنزعج إن كنت تسمع له.

يكتب بطرس رسائله بعد أن تعلم الدرس ويقتبس الكلمات «هذا هو ابني الحبيب» ولم يضيف كلمة «له اسمعوا» لأن قلبه الآن في شركة كاملة مع الرب وكأن الله يقول ليس لدي موضوع على الأرض يملأ قلبي فرحاً وسروراً سوى الابن الحبيب، وترى الآن عواطف بطرس تتجاوب تماماً مع ذلك.

إنه من الغريب أن نقرأ أن التلاميذ خافوا عندما دخل موسى وإيليا إلى السحابة لأنه كلما أدركنا أكثر ما معنى الوجود في حضرة الرب لشعرت قلوبنا بسعادة أعظم. ولكن الدرس الذي كان يجب أن يتعلموه هنا هو أن موسى وإيليا اختفيا وبقي يسوع وحده «وفتحوا أعينهم ولم يروا إلا يسوع وحده» وهذا جميل جداً فموسى مضى وإيليا مضى ويبقى يسوع وعندئذٍ يبقى لقلبك كل ما يرغب.

هل عرفت ما معنى أن تُملَّك الرب يسوع وحده على قلبك؟ أو هل هناك شخص أو شيء ضروري لسعادتك؟ إن كان الأمر كذلك ثق إنه يوم رهيب لك عندما يذهب عنك هذا الشخص، فقلبك سيظل معزولاً تماماً لأنك لم تكتشف معنى امتلاك الرب يسوع الشخص الذي لا نظير له، إذا

امتلكك الرب يسوع أولاً في يوم بهيج فإنك سوف تملكه أيضاً في يوم مظلم وسوف لا يكون قلبك فيما بعد وحيداً أو معزولاً.

«وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات» (مت١٧: ٩) ويضيف مرقس «انهم تساءلوا ما هو القيامة من الأموات؟» (مر٩: ١٠)

إنهم لم يتساءلوا عن القيام من الأموات لأن كل يهودي كان يفهم ذلك ولكن تساءلوا عن قيامته هو من بين الأموات، قيامته من بين الأموات كعلامة تفضله من الله باعتباره باكورة الراقدين ونموذج لأولئك الذين سيقومون أيضاً.

إن الدرس الذي تعلمه بطرس فوق الجبل عن مجد سيده وعن استحقاقه الشخصي يتبعه اختبار عميق وسوف نتأمل لوقت قليل في موضوع التجربة في نهاية الأصحاح السابع عشر من إنجيل متى.

لا أشك لحظة أن كفرناحوم في عدد ٢٩ المدينة التي تُسمَى "مدينته" حسب (مت٩: ١) وأن الجزية التي يتكلم عنها هنا ليست هي الضريبة التي فرضتها الحكومة الرومانية ولكنها كانت جزية الهيكل وهي درهمين وكان على كل يهودي أن يدفعها لخدمة الهيكل، وكان السؤال لبطرس «أما يوفي معلمكم الدرهمين؟» ومعنى السؤال هو هل معلمكم يهودي صالح؟ ولقد أجاب بطرس بالطبع «يوفي». ولقد كان بطرس غيوراً على سمعة سيده أنه يهودي صالح ومكرّس ولذلك أجاب على الفور لجامع الجزية "نعم" ، لقد تم هذا الحوار، السؤال إلى بطرس وإجابة بطرس عنه خارج المنزل بعيداً عن الرب وعندما دخل بطرس برهن الرب على أنه أكثر من مجرد إنسان، إنه هو الله وذلك بإظهاره ما كان في قلب بطرس وما كان يفكر فيه.

إن الرب المبارك دون أن يعطي بطرس فرصة للتكلم قال على الفور «ماذا تظن يا سمعان. ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بنيهم أم من لأجانب؟ قال له بطرس من الأجانب قال له يسوع فإذاً البنون أحرار» (مت١٧: ٢٥، ٢٦).

كان الرب مزمعاً أن يعلم بطرس الآن من هم البنون ومن هو الملك العظيم؟

إنه الله ومن هو ابن هذا الملك العظيم؟ هو الرب نفسه، وكان الرب مزمعاً أن يُري بطرس أنه هو وبطرس معاً كلاهما أبناء الملك العظيم!

إنه يضع نفسه وبطرس معاً حيث يقول:«لئلا نعثرهم» ودعني أتكلم هنا عن مبدأ عظيم في تلك الكلمات.

هل تقول ينبغي أن أقف لأجل حقوقي؟ عندئذ ستقف بمفردك وسوف لا يكون الرب معك لقد كان الرب هو ابن الملك العظيم ولذلك كان حراً من جزية ولكن نسمعه يقول لبطرس «ولكن لئلا نعثرهم أذهب إلى البحر وألق صنارة والسمكة التي تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد استاراً فخذه وأعطِهِم عني وعنك» (مت١٧: ٢٧).

أذهب إلى البحر الذي دعوتك منه مرة أخرى فسوف تجد سمكة وهي تعطيك كمية النقود بالضبط التي تكفي لدفع الجزية عني وعنك.

والجميل أن نلاحظ أن الإستار الذي وجده بطرس في فم السمكة هو بالضبط درهمين ومرة أخرى يضع الرب يسوع نفسه مع بطرس، لقد ظهر أنه عرف كل شيء وأخبر بطرس عما كان في قلبه وماذا دار خارج الباب ويبين الرب أيضاً أنه يستطيع كل شيء عندما يأمر سمك البحر أن يقدم الجزية. بحسب مزمور٨ «جعلت كل شيء تحت قدميه، الغنم والبقر وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبل المياه» (مز٨:٨). كابن الإنسان وفي الوقت المناسب استطاع الرب أن يأمر سمك البحر بما يحتاج في هذه اللحظة ولكن ما يلفت النظر هنا، الأسلوب الذي وضع الرب نفسه به مع بطرس حيث يقول «أعطِهِم عني وعنك» والجميل أن نرى الأسلوب الذي يقصده الرب أن نرى أننا متحدين معه ومرتبطين به ولذلك علينا طوال الطريق أن نسير معه مسترشدين به.

إن الدروس التي تعلمها بطرس في هذا الفصل دروس مباركة وهي معزية لأنفسنا إن كنا مستعدين أن نتعلمها ونسير مع الرب، ليساعدنا الرب لأجل اسمه.

حقول بوعز

جرت أحداث سفر راعوث في أيام مظلمة (را١: ١) هي أيام حكم القضاة؛ أيام الفوضى المدنية والدينية، «فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. كُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ مَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْهِ» (قض٢١: ٢٥). وبالإضافة إلى ذلك صار جوع في الأرض التي لا يمكن توقع حدوث هذا فيها، لأن "بيت لحم" تعني "بيت الشبع" أو "بيت الخبز". وإذ كانت الضغوط بهذا الثقل، ذهب أليمالك وتغرب فى موآب «هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَابْنَاهُ» – وهو أمر خطير لأي إسرائيلي ليقدم عليه.

لكن يا أحبائي، الله يملك زمام الأمور و«الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ»، لذلك مَاتَ أَلِيمَالِكُ رَجُلُ نُعْمِي، الذي معنى اسمه "إلهي ملك"، فصارت نعمى أرملة، وبعد حوالي عشر سنوات مات كل من محلون وكليون، «فَتُرِكَتِ الْمَرْأَةُ مِنِ ابْنَيْهَا وَمِنْ رَجُلِهَا أيضًا»، لكن صلاح الله اقتادها إلى التوبة، وإذ سَمِعَتْ وهي بعد فِي بِلاَدِ مُوآبَ أَنَّ الرَّبَّ قَدِ افْتَقَدَ شَعْبَهُ وأعطاهم خُبْزًا، قامت لترجع من بلاد موآب.

إن تطبيق هذا على إسرائيل أمر بسيط للغاية، ولست أشك أن هذا هو التعليم الأولي فى هذا السفر، لكن هناك أيضًا مبادئ أدبية صريحة، تطبيقها علينا مناسب ومبارك، وهى التي أسعى لأن ألفت الانتباه إليها.

أولاً لا بد أننا لاحظنا أن المجاعة – نقص الموارد – هي تجربة خطيرة بالنسبة لنا جميعًا. ففي مثل هذه الظروف نزل إبراهيم إلى مصر حيث تعرض إلى المشاكل. وبسبب المجاعة ذهب إسحاق أيضًا إلى أرض الفلسطينيين، وكل من المكانين يمثل أخطارًا معينة على السماويين فى أيامنا الحاضرة. وكون أليمالك قد ذهب إلى موآب فإن هذا ليس بلا مدلول. لقد كانت بداية الموآبيين بداية سيئة، إنهم نسل لوط بل وسينتهون نهاية سيئة أيضًا «إِنَّ مُوآبَ تَكُونُ ... خَرَابًا إِلَى الأَبَدِ» (صف٢: ٩). أما سمات حالة موآب الأدبية الحاضرة فموصوفة فى إرميا ٤٨ «مُسْتَرِيحٌ مُوآبُ مُنْذُ صِبَاهُ»، و«قَدْ سَمِعْنَا بِكِبْرِيَاءِ مُوآبَ. هُوَ مُتَكَبِّرٌ جِدًّا. بِعَظَمَتِهِ وَبِكِبْرِيَائِهِ وَجَلاَلِهِ وَارْتِفَاعِ قَلْبِهِ» (إر٤٨: ٩, ٢٩)، وفي سفر راعوث نجد سمة أخرى مرتبطة بموآب هي الموت. وأنا لا أشك فى أن الكبرياء والراحة والموت هي أخطار دائمة تُحدق بأولاد الله.

لكنني أكرر وأقول أن زمام الأمور لا يمكن أن يفلت من يد الله. وهو يؤدبنا كما إسرائيل أيضًا. وربما لاحظنا أنه في موآب، وليس في بيت لحم، غيَّرت نعمى (مسَرَّة) اسمها إلى «مُرَّةَ» (را١: ٢٠). إن طريق فعل الإرادة الذاتية شاق؛ ليس طريق الابتعاد بل طريق العودة. وإذا ما أخذنا فى الاعتبار أن مسافة الرحلة من موآب إلى بيت لحم تقدر بحوالي ٣٥ ميلاً، ولها تقريبًا

نفس تضاريس المنطقة التي بين أورشليم وأريحا، حيث وقع رَجُل لوقا ١٠ بين اللصوص، وأن الرحلة هذه المرة كانت صعودًا على الجبل وليس نزولاً، لاتضح أمامنا شيئًا عن قساوة تلك الرحلة. وبلا شك أيها الأحباء أننا متعاطفون مع هاتين المرأتين كسائر مدينة بيت لحم. لقد فعلتا حسنًا إذ تممتا رحلة كهذه.

والآن علينا أن نتساءل من هو بوعز؟ إن معنى اسمه "فيه القوة" وبالمفهوم العبري تعنى كلمة "جبار بأس" ليس فقط الغنى بل أيضًا الشجاعة. إنه صورة رائعة لربنا يسوع المسيح فى قوة قيامته ومجده؛ إنه ليس فقط «الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ» و«الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ»، لكنه أيضاً «مَلِكُ الْمَجْدِ» (مز ٢٤: ٨). إنه صاحب السلطان فى السماء وعلى الأرض، وهو القادر على تحقيق وعود الله لإسرائيل. بلا شك أنه الغنى الذي افتقر من أجلنا حتى نستغني نحن بفقره، ولا بد أنه سيُغنى كل الخليقة ببركات الله فى المستقبل، ولست بحاجة لأن أقول أنه يستطيع أن يُغنينا جميعًا اليوم.

ونحن يُمكننا أن نلاحظ بصفة خاصة الطابع الروحي الذي يُميِّز راعوث، والذي جذب انتباه بوعز أكثر من أي شيء آخر فيها؛ لقد قالت «شَعْبُكِ شَعْبِي وَإِلَهُكِ إِلَهِي»، وأعطت ظهرها لآلهة موآب، لذلك قرر الرب إله إسرائيل الذي أتت لتحتمي تحت جناحيه أن يُعطيها مكافأة تامة. وبالرغم مما ميَّزها من دفء المشاعر والطاعة والاجتهاد، إلا أن ثقتها فى الله هو الأمر اللامع في حياتها والذي أهّلها للمكافأة. ويا لسعدنا نحن أيضًا إن كان لنا هذا القلب المُوَحّد الهدف، وأظهرنا الفضيلة والشجاعة التامة، وأيضًا إن وضعنا الرب فى حساباتنا، وكان دائمًا نصب أعيننا.

أود أن ألفت الانتباه إلى بعض السمات الموجودة فى الأصحاح الثاني من سفر راعوث. أولاً أنه كان وقت حصاد الشعير ثم الحنطة. والشعير فى الكتاب المقدس يرمز إلى القيامة، وحزمة الباكورة ترمز إلى المسيح المُقام «بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ»، وأما الحنطة فترمز إلى تجسد ابن الله «الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ» (١كو١٥: ٢٠, ٤٧)، «حَبَّةُ الْحِنْطَةِ» التي وقعت في الأَرْضِ وماتت لكي تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (ي١٢: ٢٤).

لنتأمل قليلاً فى الجمع الذي قامت به راعوث. ففي عدد٢ ذهبت إِلَى الْحَقْلِ وَأَلْتَقِطْت «سَنَابِلَ»، ثم فى عدد٧ التقطت وجمعت «بَيْنَ الْحُزَمِ»، وأخيرًا في عدد١٦ أَمَرَ بُوعَزُ غِلْمَانَهُ: «أَنْسِلُوا أَيْضًا لَهَا مِنَ الشَّمَائِلِ، وَدَعُوهَا تَلْتَقِطْ وَلاَ تَنْتَهِرُوهَا»، وكل من هذه يمثل تقديرًا مختلفًا، أو مكافآت متنوعة، حصلت عليها من خلال جمعها المثابر فى حقول بوعز. فى عدد٣ الْتَقَطَتْ فِي الْحَقْلِ «وَرَاءَ الْحَصَّادِينَ»؛ أولئك هم التاعبين فى الكلمة والتعليم، ونفعل حسناً إذا مالبثنا قريبين منهم. ثم هناك أيضًا الفتيات (عدد٧) وربما يكونوا هم الذين يُظهرون ثمار النعمة فى

النفس «واتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ» (٢تي٢: ٢٢). والغلمان (عدد٩, ١٥)، هم من يمثلون بالأكثر من لهم مسؤوليات خاصة حسب تميّز الرجال عن النساء، وكونهم شباب فذلك لكي يتحلّوا بالحيوية اللازمة للقيام بالعمل المنوط إليهم. أما الغُلاَم الْمُوَكَّل على الحَصَّادِينَ (عدد٦)، فيرمز إلى الروح القدس. وبلا شك أن هناك الكثير أيضاً ليقال بهذا الصدد لكن يكفى أن ننوه على أهمية العبارة «لاَ تَذْهَبِي لِتَلْتَقِطِي فِي حَقْلِ آخَرَ» (عدد٨).

ثم دعونا الآن نتأمل فى المائدة المهيأة. فهناك انتعاشًا فرديًا فى الشرب من «الآنية» المملوءة والمُتاحة دائماً للشرب (عدد٩)، وهى رمز للكلمة المكتوبة، أو الخدمة المكتوبة وما أحوجنا فى هذه الأيام أن نفتش فى المكتوب ونطلب سفر الشريعة ونقرأ فيه! فحتى السلطات التعليمية اليوم تدق ناقوس الخطر تحذيرًا لعدم رغبة الأجيال الصاعدة فى قراءة الكتب!

ثم قال لها بُوعَزُ: «عِنْدَ وَقْتِ الأَكْلِ تَقَدَّمِي إِلَى هَهُنَا» (عدد١٤)، وهنا نجد أفراح الشركة، فالخراف تبتهج دائمًا أن تأكل معًا. لكن لاحظ هذا «فناولها (أي بوعز) ثم قال لها بُوعَزُ: «عِنْدَ وَقْتِ الأَكْلِ تَقَدَّمِي إِلَى هَهُنَا» (عدد١٤)، وهنا نجد أفراح الشركة، فالخراف دائمًا تبتهج في الأكل معًا. لكن لاحظ هذا «فَجَلَسَتْ بِجَانِبِ الْحَصَّادِينَ فَنَاوَلَهَا (أي بوعز) فَرِيكًا، فَأَكَلَتْ وَشَبِعَتْ وَفَضَلَ عَنْهَا» (عدد١٤)؛ فبالرغم من صحبة الكثيرين إلا أنه ميَّز راعوث بشيء خاص بها، وهو ما نسميه اهتمام خاص، الأمر المبهج إذا ما قرأت عنه أو اختبرته شخصيًا «أُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي»، هذا طبعًا في حال توفر الشروط لذلك «اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يو١٤: ٢١).

ولنلاحظ أيضًا تقدم راعوث فى تقدير بوعز. ففي البداية يبدو وكأنها تجهله وكل ماعرفته عنه كان من خلال شهادة نعمى. ثم نقرأ فى العدد الأول أنه كان «ذُو قَرَابَةٍ»، ويمكن أن تترجم "صديق". ياله من صديق لنا، الرب يسوع! ثم نجد فى العدد الأول أيضًا خطوة أخرى للأمام أنه كان «مِنْ عَشِيرَةِ أَلِيمَالِكَ»، وبعد ذلك فى عدد٢٠ نقرأ قول نُعمي: «هُوَ ثَانِي وَلِيِّنَا» وهو الأقرب من الولي الذي له حق الفكاك. ياله من أمر مبارك! وهو نفس ما أدركه المولود أعمى في يوحنا٩، فقد عرف المسيح أولاً "كإنسان" ثم "نبي" وأخيرًا "كابن الله" (يو٩: ١١, ١٧, ٣٥). فالجمع والالتقاط فى حقول بوعز يقود إلى المزيد من التقدير له، وأيضًا إلى التقدير الأقل لأنفسنا، وهذا هو طريق عمل النعمة.

«فَالْتَقَطَتْ فِي الْحَقْلِ إِلَى الْمَسَاءِ، وَخَبَطَتْ مَا الْتَقَطَتْهُ فَكَانَ نَحْوَ إِيفَةِ شَعِيرٍ» (عدد١٧). لقد جمعت فى اليوم الواحد نحو إيفةِ شعيرٍ، أي حوالى٤ جالونات (حسب كل الشراح)، وهو حصاد طيب ليوم عمل واحد. إن البيدر فقط هو الذي يُعطي نحو ستة مكاييل من الشعير (را٣:

١٥). هكذا النفس العليلة قليلاً ما تربح من المكتوب، وكثيرًا ما تعتبر شخصه. ويقودنا البيدر إلى الأصحاح الرابع حيث نتعلم الحق الخاص باتحادنا، وإثمارنا لله. لكن دعونا لا نتجاهل الصليب الموعود.

فى الأصحاح الثاني تبرز راعوث، وتُسدَّد احتياجاتها، وكثيرين منا يقفون عند هذا الحد "ماذا أجنى من وراء هذا؟" لقد بوركنا بكل البركات الروحية، والله يجد لذته فينا، لكن يا أحبائي إن هذا لا يكفي. ولذلك ففي الأصحاح الرابع يبرز بوعز، وتُسدَّد حاجته. بلا شك إن راعوث قد بُوركت إذ تزوجت بوعز، وبشركتهما معًا أسعدَّ نفسه بإشراكها في كل ما يملك. وكم تعزّت نُعمِي أيضًا إذ صار بوعز لها «لإِرْجَاعِ نَفْسٍ وَإِعَالَةِ شَيْبَتِكِ» (را٤: ١٥). لكن الأهم من الكل أن بوعز أخذ نصيبه. لقد صنَعْ بِبَأْسٍ فِي أَفْرَاتَةَ وَكان ذَا اسْمٍ فِي بَيْتِ لَحْمٍ (را٤: ١١)، بل سيكون ذَا اسمٍ في كل إسرائيل. وسيملأ مجد الله كل الكون وهى الفكرة الأعظم على الإطلاق. وهكذا سيأخذ بوعز الحقيقي نصيبه أيضًا عندما يرى من تعب نفسه ويشبع. وكم سيكون أمر مبارك أن يأخذ الله والمسيح نصيبهم، من الآن، فى العبادة الروحية فى الكنيسة. دعونا على الأقل نسعى لأن يكون لنا هذا التوّجه.

أما الدرس الختامي فهو بسيط جدًا وواضح. ما أقل ما عرفت راعوث عن عظمة الأمور التي يمكنها تحريكها عندما كانت أولاً فى موآب، إذ اتخذت القرار بلا تراجع ثم فى بيت لحم عندما ذهبت لتلتقط. فدعونا نحن أيضًا أن نسعى فى طرقنا الصغيرة بتعقل، ونضع ثقتنا فى الله، وبمشاعر متأججة نتبع من هو أعظم من بوعز جبار البأس. وما أقل ما ندرك عن ما يمكن أن يصنع الله.

لقد سبق وذكرنا أن أحداث سفر راعوث جرت فى أيام مظلمة. ألا يؤكد ذلك لنا أنه بإمكاننا العيش بهذا السمو الأدبي فى مثل هذه الظروف، سواء فى الخارج أو فى الداخل؟ ربما نؤدب بشدة، لكن المحبة هي من وراء كل هذا، والرَّبِّ لَمْ يَتْرُكِ الْمَعْرُوفَ مَعَ الأَحْيَاءِ وَالْمَوْتَى (را٢: ٢٠)، وما صنعه قديمًا يستطيع أن يصنعه اليوم أيضًا.

د. و. باترسون

الجب

إن صليب ربنا يسوع المسيح هو مركز الدائرة لكل تاريخ البشرية. هو الشمس الذي تدور حوله الأفلاك. هو المفتاح لكل تاريخ الكتاب المقدس ورموزه ، هو الحقيقة التي تعطي معنى وجمالاً لكل الحقائق الأخرى. تجاهل الصليب ليس إلا تكراراً لغلطة الفلاسفة القدماء الذين توهموا أن الأرض – لا الشمس– هي مركز الكون والذين كانت السماء نفسها في نظرهم مجرد نظام مشوش. ومعرفة الصليب ومحبته. والوقوف بجانبه كما فعلت النسوة المباركات وقت موت يسوع معناه إدراك أسرار تناسق كل ما في السماء والأرض.

مما تجب ملاحظته بصفة خاصة أنه يوم آلام مخلصنا – وكان في وقت الاعتدال– كان كل العالم منيراً بين الساعة التاسعة صباحاً والسادسة مساء. فلو أن ملاكاً وقف في كبد السماء في تلك الساعات الرهيبة لكان قد رأى كل قارة ملتحفة بضياء الشمس على التوالي، في الساعة التاسعة صباحاً كانت الهند في وقت الظهر، وكانت كل أوربا وكل أفريقيا في ضياء كامل. وفي الساعة السادسة مساء كانت كل قارة أمريكا في ضياء تام.

قد يصلح هذا لكي يقدم لنا مثلاً. قف فوق الصليب، وتطلع إلى الخلف إلى صباح (بداية) تاريخ الأرض، ثم تطلع إلى الأمام إلى مسائه (نهايته)، وعندئذ ترى كل شيء منيراً فإن الأشعة التي تنبعث من الصليب تضيء كل الحوادث، وتبدد كل ظلمة.

عندما تخطر ببال الفنان في الموسيقى، أو التصوير أو النحت، فكرة جميلة فإنه يحرص على أن لا تفلت منه، ويرسم لها رسماً كروكياً إلى أن يخرجها في جمالها الكامل. ولا يهدأ باله إلا بعد أن يعصر ذهنه وفنه في الطرق المختلفة التي يعبر بها عن فكرته. والمتطلع إلى اللوحة يرى الفكرة العامة، ثم الرسم الكروكي ثم الخطوط الخفيفة. وهذه كلها أعداد للصورة الكاملة التي تكمل فيما بعد.

أليس هذا صحيحاً أيضاً فيما يتعلق بموت ربنا الحبيب؟ فإن الفنان الأعظم، إذ أفتتن قلبه بالصليب العجيب، ملأ العالم بالإشارات والرموز له قبل أن ينتصب على الجلجثة منبسطة عليه اليدان المباركتان. ترى هذه الإشارات والرموز في أساطير الوثنيين، أو الأقوال القديمة السحيقة.

تراها في الأحداث العجيبة في التاريخ البشري. وقبل كل شيء تراها في صفحات الكتاب المقدس. فالعصور السابقة للصليب مليئة بالإشارات ولو لم ينتبه إليها المتطلعون.

إن أشعة الشمس، المنبعثة الآن من الصليب لتنير العصور الحالية، كانت تنبعث منه قديماً لتنير العصور السحيقة ومن ضمن هذه الأشعة التي سطعت قديماً تلك التي نراها ساطعة في قصة يوسف الحلوة هذه.

يرى القارئ العادي، عندما يقرأ عن المظالم التي حلت بيوسف وانتشاله من الجب ليتربع على العرش، أن هذه مجرد رواية عذبة بالنسبة لبساطتها وجمالها. أما القارئ الذي التهب قلبه بمحبة الصليب فيرى فيها جمالاً أعمق. يرى فيها جلجثة مصغرة. يرى فيها "بروفة" لأقسى مأساة تمثلت بين البشر.

ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً أفضل من التأمل فيها سطراً سطراً لنرى كيف أكملت الظلال في الحقيقة المجيدة.

١. إرسالية يوسف:

«سكن يعقوب في أرض غربة آبائه» عندما دفن يعقوب أباه الشيخ ظل مقيماً في وادي حبرون، حيث سكن إسحاق قرابة مائتي عام، وحيث سكن إبراهيم من قبله. كان هذا هو مركز قيادة محلته المترامية الأطراف. ولكن بالرغم من غنى مراعي حبرون فإنها لم تكن كافية لكل الأغنام والمواشي. فاضطر الأبناء لأخذها تدريجياً إلى أماكن أبعد. بل اضطرتهم الحاجة الملحة للمخاطرة بالذهاب إلى أرض شكيم، الذين سبق أن أساءوا إليهم إساءة بالغة، والذين سبقوا أن توعدهم بالانتقام منهم من أجل فعلتهم الشنعاء بهم.

هذا ما حدا بيعقوب للسؤال «أليس أخوتك يرعون عند شكيم؟» (ع١٣). كان قد سمعهم يتحدثون عن الذهاب إليها للبحث عن مراع. وهوذا قد انقضت عدة أسابيع منذ أن سمع عن سلامتهم. وقد جعلته ذكريات الماضي في غاية القلق من جهتهم. ولقد تملك عليه هذا القلق بشدة حتى جعله يتصرف ذلك التصرف الذي لم يكن يخطر بباله لو لم يواجه هذا الموقف.

لم يكن معه في حبرون إلا يوسف وبنيامين حبيباه، اللذان أحبهما بنفس المحبة التي أحب بها أمهما. كان بنيامين صغيراً، أما يوسف فكان قد بلغ السابعة عشر، كان الشيخ قد استبقاهما معه لأنه لا يريد أن يبعدا عن نظره. إن كلمة حبرون في العبرانية تحمل معنى الشركة، وكانت

مكاناً خليقاً بإقامة أشخاص ارتبطت قلوبهم برابطة وثيقة مثلهم ولكن الرجل الشيخ في نفس الوقت اشتعل قلبه بحنين نحو أولاده المتغيبين وأخيراً بعد تردد طويل ومصارعات عنيفة داخلية، قال فجأة ليوسف العزيز «تعال فأرسلك....أذهب أنظر سلامة أخوتك...ورد لي خبراً» (ع١٣، ١٤).

لم يتردد يوسف لحظة واحدة. في لمح البصر تحقق من أخطار الإرسالية، أخطار المياه، أخطار اللصوص، أخطار الوحوش أخطار الليالي الليلاء، أخطار من أخوة كذبة أبغضوه بشدة، ولكنه لم يحتسب لشيء من هذه ولا حسب نفسه ثمينة عنده (أع٤:٢٠). حالما علم إرادة والده قال "هأنذا" وهكذا "أرسله يعقوب فأتى".

على أن يوسف لم يذهب في طلب أخوته لمجرد إرسال أبيه إياه. فلو أن الأمر كان كذلك لعاد إلى أبيه عندما أدرك أنهم تركوا شكيم المخيفة بسلام، لكنه عوضاً عن هذا بحث عنهم لأنه أحبهم، وسعى في أثرهم حتى وجدهم.

ألا تشير هذه الإرسالية إلى إرسالية أسمى؟ لم يملّ ربنا من أن يدعو نفسه مُرسلاً من الآب. يندر أن تجد صفحة في إنجيل يوحنا لم يكرر فيها هذا القول «لم آتي من نفسي بل الآب أرسلني» كان يحلو له أن يجد رمزاً لإرساليته في اسم بركة سلوام (وتفسيرها "مرسل"). وهكذا صارت هذه العبارة مألوفة لكتبة العهد الجديد «الله أرسل أبنه» «الآب أرسل الابن ليخلص العالم».

لابد أنه قد كلّف يعقوب ثمناً غالياً أن يفارقه يوسف حبيبه، وهذا يمكن أن يتحققه الذين فقدوا أحباءهم، ولكن من ذا يستطيع وصف مقدار ما كلّف الله أن يرسل ابنه الحبيب الكائن في حضنه منذ الأزل؟ يجب أن لا تتوهم أن الله خالي من العواطف كأبي الهول الذي يتطلع إلى الصحراء أمامه بوجهه الصامد وعينيه الحجريتين دون أن يتحرك، ودون أقل إحساس أو عاطفة. إنه يحب كما نحب وأكثر، ولذلك فإنه يتألم من نفس العوامل التي نتأثر بها نحن، لكنه يحزن بما يتناسب مع قوة طبيعته اللانهائية. إذاً فيالها من محبة عميقة تلك التي أحبنا بها حتى ارتضى أن يرسل أبنه. يقيناً أنه «هكذا أحب الله العالم». ومن ذا الذي يستطيع أن يسبر غور هذه الكلمة الصغيرة الواحدة «هكذا»؟

على أن مخلصنا لم يأتِ لمجرد أنه أُرسل، لقد أتي لأنه أحب إرساليته. أتي يطلب ويخلص ما قد هلك. أتى بصفة خاصة طالباً إخوته، خاصته اليهود. لو كانت قد أتيحت لك الفرصة لتوجه إليه هذا السؤال لأجاب بنفس إجابة يوسف «أنا طالب أخوتي» على أنه لم يكتف بمجرد البحث عن الضال، بل سعى وراءه حتى وجده «فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم في دوثان» (ع١٧).

إن مثلَ هذا الخروف الضال، ومثلَ الدرهم المفقود، لا يقلان جمالاً عن مثل الإبن الضال، لأننا نجد في المثلين الأولين شخصاً لم يحتمل أن يفقد شيئاً فبدأ يبحث، ونجد أن البحث ظل مستمراً حتى أمكن العثور على المفقود. أيها القارئ العزيز! قد يكون الرب يسوع يبحث عنك أنت بالذات، وظل يبحث عنك أياماً كثيرة مضنية، بقدمين داميتين أو شمعة موقدة. وقد لا تكون الرغبة أو الشجاعة متوفرة لديك للبحث عنه. لكن تشجع، فإنه لن يهدأ له بال حتى يجدك.

٢. استقبال يوسف:

«فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه» (ع١٨). ولولا توسلات رأوبين الابن الأكبر، لكانوا بلا شك قد قتلوه بلا رحمة، وطرحوا جثته في جب بعيد. «فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ، وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ» (ع٢٣، ٢٤) وقد شهدت الأرض كثيراً من الجرائم الوحشية التي ارتكبت على وجهها بأيدي بنيها، ولكنها لم تشهد قط جريمة أكثر وحشية من هذه. فقد دلت على الخسة والجبن، وكانت دناءة من تسعة رجال بالغين أن ينقضوا على صبي واحد صغير مسالم أعزل.

لم يدون كاتب سفر التكوين شيئاً عن عواطف الأخوة، ولا عن آلام ذلك الفتى الصغير النفسية، الذي وجد أنه ليس من الهين أن يموت، ليس من الهين أن يودع الأرض الجميلة، ليس من الهين أن ينزل إلى أعماق ذلك الجب المظلم، الذي لم يترك له عمقه أية بارقة أمل في الصعود ثانية، وتنسم الهواء الطلق. لكن اعتراف هؤلاء الرجال القساة القلوب الذي اعترفوا به بعضهم لبعض بعد خمسة وعشرين سنة يمكننا من تخيل وصف تلك العواطف والآلام التي اقترنت بهذه الجريمة المرعبة بعد انقضاء تلك سنوات قالوا بعضهم لبعض: «حَقًّا إِنَّنَا مُذْنِبُونَ إِلَى أَخِينَا الَّذِي رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ لَمَّا اسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هذِهِ الضِّيقَةُ». (ص٤٢: ٢١).

أي إعلان تقدمه إلينا هذه الكلمات! إنه ليخيل إلينا أن يوسف كان في تلك الأيادي القاسية كحمل وديع بين أنياب نمر مفترس. إننا نتصوره يجاهد للخلاص من أيديهم، يتوسل إليهم بدموع غزيرة ليخلوا سبيله. يتوسل إليهم بحق والدهم الشيخ، وبرابطة الأخوة. وتتضح آلامه النفسية من صرخاته المرة ودموعه وتوسلاته. أسفاً أيها الشاب الصغير المتألم! ليتنا نصدق أن صرخاتك المرة كانت هي الوحيدة التي انتزعتها العواطف الوحشية من نفس بريئة.

تأمل هنا أصل الجريمة: كان هنالك وقت جثمت فيه جرثومة هذه الخطية على قلوبهم في شكل الشعور بحسد الشاب صاحب الأحلام فلو أنهم قتلوا تلك الجرثومة في بدايتها لما كانت قد توالت فيما بعد ونمت. ولكنهم مع الأسف لم يحاولوا، بل سمحوا لها أن تعمل داخلهم عمل الخميرة

في العجين «ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا» (يع١: ١٥) فاحرص أن لا تدع جرثومة واحدة للخطية تدخل إلى قلبك وتستقر فيه. لأنك إن سمحت لها بذلك جلبت على نفسك الخراب المحقق. لأنها لأبد أن تتملك عليك بسلطانها الغاشم إن عاجلاً أو آجلاً. عالج هذه الجرثومة كما تعالج أول جرثومة للحمى تدخل بيتك.

حالما تشعر بالخطية أطلب التطهير منها عاجلاً في دم المسيح الثمين.

الخطية التي لم تغفر مصدر عذاب مرعب للضمير: توالت السنون، ولكنها لم تستطع أن تمحو من ذاكراتهم تلك النظرة، وتلك الصرخات، وذلك المنظر الذي شهدوه في مراعي وادي دوثان الذي تحيط به الجبال العالية، وتسقفه زرقة السماء، وتنير الشمس وقد انتصفت في كبد السماء. لقد حاولوا مراراً انتزاع كل آثار تلك الجريمة من ذاكراتهم، وطرحها في بحر النسيان، ولكنها كانت تواجههم دواماً، حتى في أشد ساعات الحرص، كانوا يظنون أحياناً أنهم رأوا في أحلامهم ذلك الوجه المكتئب، وسمعوا تلك الصرخات المدوّية. كان والدهم الشيخ أسعد حالاً في حزنه على ابنه كميت، منهم في معرفتهم بأنه حي وهكذا نرى أن جريمة واحدة قد تظلم الدنيا طوال الحياة. يظن البعض أن الله رحيم جداً لدرجة أنه لا يقتص من البشر. ولكنه في الواقع خلق العالم بحيث تكون الخطية هي نفس جزائها العادل فالخطية تحمل معها بذرة قصاصها. وكل الذين يحملون معهم شعوراً بخطية لم تغفر هم أول من يعتقدون بالطيور الجارحة التي تمزق الأحشاء بصفة مستمرة، بالدود الذي لا يموت والنار التي لا تطفأ.

على أن آلام يوسف كانت رمزاً صادقاً لآلام المسيح: «إلي خاصته جاء وخاصته لم تقبله» (يو١: ١١) لقد قالوا «هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ الميراث» (مت ٢١: ٣٨) «فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه» (مت٢١: ٣٩) «واقتسموا ثيابه بينهم». وباعوه للأمم وجلسوا يراقبونه وهو يلفظ النسمات الأخيرة. تذكرنا آلام يوسف النفسية بقطرات الدم التي ظهرت على جبين المسيح لدى اقتراب آلامه. وتذكرنا براءة يوسف النسبية ببراءة ذلك الحمل الذي بلا عيب، والذي شهدت لكماله الأعداء قبل الأحباء عند الصليب. لم يحصل قط تفتيش دقيق في أية ذبيحة للعثور على أقل عيب فيها قبل تقديمها للذبح كما حصل للمسيح بواسطة أولئك الذين اضطروا للاعتراف أنه لم توجد فيه علة (لو٢٣: ١٤، ١٥).

على أن أوجهه الشبه تقف عند هذا الحد: فآلام يوسف توقفت قبل أن تصل به إلى حافة الموت، أما يسوع فقد ذاق الموت. كانت آلام يوسف شخصية أما آلام يسوع فكانت نيابية كفارية، لأنه "مات عنا"، "أسلم نفسه لأجلي". لم تكن في آلام يوسف قوة التكفير عن الخطية التي سببت

تلك الآلام. أما آلام المسيح فإنها لا تكفر فقط عن جريمة قاتليه بل عن خطايا الجميع، فإنه «كفارة لخطايانا، ليس خطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢:٢).

٣. مصير يوسف:

«ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً»(ع٢٥). جلسوا ليأكلوا غذاءه بقلوب من الصخر وبعدم اكتراث. وفي تلك اللحظة لفت أنظارهم منظر جديد رحبوا به. لقد كانوا يجلسون في سهل دوثان وهو مكان لا يزال محتفظاً باسمه القديم. ويستطيع أي واحد يجلس هناك أن يتطلع شرقاً عبر وادي الأردن، أن يتبين آثار الطريق الرئيسي الموصل بين مخاوض الأردن وشاطئ البحر الأبيض المتوسط. كان هذا الطريق أحد طرق فلسطين الرئيسية. كان يصل بين جلعاد والأقطار الأخرى عبر الأردن وبين شاطئ البحر. وإذا ما وصل إلى الشاطئ وجد الطريق سهلاً إلى الجنوب نحو فلسطين ودلتا النيل.

في تلك اللحظة كانت تجتاز في هذا الطريق إحدى القوافل. استطاع الإخوة أن يتبينوا عن بعد تلك الجمال التي كانت تسير نحوهم وئيداً. وأدركوا في الحال حقيقة أمر هذه الجماعة، والمكان الذي قدموا منه. لم يكن هنالك أقل شك في أنهم من الجنس العربي، رواد الصحراء في كل الأجيال، نسل إسماعيل. كانوا قادمين من جلعاد حاملين أطياباً وبلساناً ومراً، وهي المحصولات الطبيعية العطرية التي تكثر في غابات ومراعي فلسطين الشرقية، والتي كانت تُطلب كثيراً في مصر لأغراض التحنيط.

أحدثت رؤية هؤلاء التجار تحولاً غريباً في تفكير المتآمرين. كانوا يعرفون أن الطلب يكثر في مصر لشراء العبيد، وأن هؤلاء التجار اعتادوا شراء العبيد أثناء مسيرهم، ليبيعوهم في تلك البلاد التي كانت تحفل بأعظم سوق عبيد في العالم. فلماذا لا يبيعون أخاهم؟ هذه أسهل طريقة للتخلص منه، بل للتخلص من جريمة قتل الأخ. وعملاً بمشورة يهوذا رفعوا يوسف من الجب. وإذ لم يكن المال هو المهم في نظرهم، باعوه بعشرين من الفضة، أي نحو ثلاثة جنيهات.

تم ذلك في دقائق معدودات، وجد يوسف نفسه بعدها واحداً من جماعة كبيرة من العبيد الأرقاء المكبلين بالقيود، والمقضي عليهم بالذهاب إلى أرض غريبة. ألم يكن هذا أشر من الموت؟ يا للآلام التي مزقت القلب الغض! ولا شك في أنه كان متلهفاً ليرسل رسالة واحدة أخيرة إلى أبيه. ولعله اختلطت بهذه الأفكار فكرة عن الله العظيم الذي تعلم أن يعبده. كيف سمح بكل هذا؟ لم يخطر بباله أنه فيما بعد سوف ينظر إلى هذا اليوم كحلقة ذهبية في سلسلة أعمال عناية الله

ومحبته، أو أنه سوف يأتي اليوم الذي فيه يقول مخاطباً إخوته: «لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم إلى هنا».

كم هو حلو جداً للنفس– عندما تمر أيام الحياة – أن يستطيع المرء الرجوع بالذاكرة إلى الوراء، والتطلع إلى الحوادث المظلمة الغامضة، وتلمس يد الله حيث كنا لا نرى إلا خبث الإنسان وقسوته. ولا شك في أنه سوف يأتي اليوم الذي فيه نستطيع الحديث بهذه اللهجة عن كل الصحائف السوداء التي مرت بنا في الحياة.

إخوة يوسف خانوه، وصاحب المسيح خانه. بيع يوسف بدريهمات معدودات، وكذلك بيع ربنا. اقتيد يوسف إلى العبودية في زمرة العبيد، وأُحصى يسوع مع أثمة. تممت جريمة أخوة يوسف القصد الإلهي، وتممت أيدي صالبي المسيح الآثمة مشورة الله المحتومة وعلمه السابق.

سوف يجعل الله غضب الإنسان يحمده وبقية الغضب يتمنطق بها (مز ٧٦: ١٠) «يالعمق غنى الله وحكمته وعمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء» (رو ١١: ٣٣)

تأملات هادئة

بقلم :ماكنتوش

«لأن فصحنا المسيح قد ذُبح لأجلنا إذًا فلنعيّد» (١كو ٥: ٧، ٨)

في هذا الجزء المختصر من كلمة الله نرى أمرين متميزين وإن كانا مرتبطين معًا أساسًا ونجدهما – كل منهما – في مكانه الصحيح. فالذبيحة – أي عمل المسيح – تمت في الماضي أما العيد فنعيّده الآن. وعلينا ألا نخلط بينهما.

لقد تأسس خلاص الشعب – قديمًا – على تقدير الله لدم الخروف حيث أعلن قوله «أرى الدم وأعبر عنكم»، وعلى النفس – آنذاك – أن تستقر وترتاح على ذلك الحق الثمين؛ **فالخلاص تأسس على رضاء واكتفاء الله.** ولاحظ – عزيزي القارئ – هاتين الكلمتين «قد ذُبح» والأخرى «لأجلنا». وهما معًا قدما إجابة كافية للتساؤل الكبير والهام عن الخلاص من الدينونة والهلاك الأبدي. **وهكذا أبرز الخلاص الثمين والحياة الأبدية ووجود ارتباط لا يمكن فك عراه.** إن الرب يسوع المسيح الفادي الحي يضمن ذلك الارتباط الثابت والراسخ بكل تأكيد ويقين حينما قال «أنا حي فأنتم ستحيون» (يو ١٤: ١٩). فهو – له المجد – يحفظنا ونحن بدورنا نحفظ العيد – المنوَّه عنه في صدر هذا المقال. لقد ذُبح ليمنحنا عيدًا وهو في جوهره حياة شخصية مقدَّسة – بلا خمير – انفصال عملي بلا شر. ولاحظ عزيزي القارئ، أن عيد الشعب قديمًا ارتبط بأمور ثلاثة: خروف مشوي وأعشاب مرة، وثالثهما خبز بلا خمير. يالها من أمور ثمينة مقدَّمة لنا في صورة رمزية. فأولاً لقد احتمل المسيح غضب الله نيابة عنا، وثانيًا الخلجات الروحية التي تجيش بصدورنا يعززها القلب عند تأملنا للصليب، وأخيرًا حياة القداسة والانفصال عن الشر.

هكذا كان الشعب قديمًا يذبح ثم يعيّد، وعلى نفس القياس – مع فارق جوهري وثمين – نعيّد حاليًا. فيالها من نعمة غنية بلا حدود.